

**الاستعلاء الإيماني
وسانله ، وأثره في مواجهة التغريب**

**إعداد الباحث
لؤي غالب حسين الصمادي
مركز حسين للأبحاث والدراسات
الكويت**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستعلاء الإيماني: وسائله، وأثره في مواجهة التغريب

لؤي غالب حسين الصمادي

مركز حصين للأبحاث والدراسات، الكويت

البريد الإلكتروني: luay.smadi@gmail.com

الملخص:

يسعى البحث إلى بيان مفهوم الاستعلاء الإيماني ومشروعيته، وتحليل أثره في مقاومة ظاهرة التغريب التي تهدد الهوية الإسلامية، من خلال تسليط الضوء على الوسائل الشرعية التي تُعزز هذا المعنى في نفوس المسلمين. وانطلقَ البحث من تأصيل مفهوم الاستعلاء الإيماني، بصفته شعورًا باطنيًا بالعرّة ينبع من الإيمان، لا من التفوق المادي أو العرقي، مع التمييز بينه وبين الكبر المذموم. واستدلّ بنصوص الوحي على مشروعيته وملازمته للمؤمنين في جميع أحوالهم، ثم تناول البحث ظاهرة التغريب باعتبارها مشروعًا فكريًا يستهدف إضعاف هوية المسلم وخلخلة ولائه، وذلك من خلال تقليل شأن الإسلام وتضخيم صورة الحضارة الغربية. وأوضح أن أخطر أدوات التغريب هي كسر الحصانة الداخلية النفسية، ثم أبرز الاستعلاء الإيماني وسيلةً دفاعية فاعلةً في بناء الثقة، وتأسيس المناعة الفكرية، ثم استعرض أهم الوسائل العملية في تحقيق الاستعلاء الإيماني، وهي: تعزيز الإيمان بالله، والاعتصام به، والتأصيل البرهاني للأسس الإيمانية، والنقض البرهاني للأفكار الكفرية، والوضوح في توصيف الكفر، وتصغير شأن الدنيا في ميزان الآخرة، وإدراك محاسن الإسلام، والاقْتداء بنماذج الاستعلاء الإيماني، والحفاظ على تميز الهوية الإسلامية، والاهتداء بالوحي والاستغناء به، وقد قامت منهجية البحث على استقراء النصوص الشرعية، وتحليل مدلولاتها في سياق الصراع الحضاري المعاصر.

وخلص البحث إلى أن تعزيز الاستعلاء الإيماني لا يكون إلا بتقوية الإيمان بالله، والتوكل عليه، والتأصيل البرهاني بناءً للحق ونقضاً للباطل، والوضوح في التمايز العقدي، والنظر إلى الدنيا بمنظور الآخرة، وأوصى الباحث بضرورة ترسيخ هذا المفهوم في الخطاب الدعوي والتربوي، وتعزيز الثقة بعلو الإسلام في نفوس الشباب، وتكثيف الجهود العلمية لتفكيك الخطابات التغريبية بلغة علمية حازمة.

الكلمات المفتاحية: الاستعلاء الإيماني، التغريب، الهوية الإسلامية، العزة، التوكل، البرهان، الدعوة، المقاومة الثقافية.

Faith-Based Superiority: Its Means and Impact in Confronting Westernization

Luay Ghaleb Hussein Al-Samadi

Haseen Center for Research and Studies, Kuwait

Email: luay.smadi@gmail.com

Abstract :

This research aims to explain the concept of faith-based superiority (Al-Istila' al-Imani), its legitimacy, and analyze its impact on resisting the phenomenon of westernization, which threatens Islamic identity, by highlighting the legitimate means that strengthen this concept in the hearts of Muslims.

The research starts with a foundational explanation of the concept of faith-based superiority, defined as an inner feeling of pride derived from faith, not from material or racial superiority, distinguishing it from the condemned arrogance (kibr). The legitimacy of this concept is supported by texts from divine revelation, affirming its necessity for the believers in all circumstances.

The research then addresses the phenomenon of westernization as an intellectual project that aims to weaken the Muslim's identity and disrupt their loyalty by diminishing the value of Islam and inflating the image of Western civilization. It highlights that the most dangerous tool of westernization is the destruction of the internal psychological immunity, and presents faith-based superiority as an effective defensive tool in building trust and establishing intellectual immunity.

The research also reviews **the most significant practical means to achieve faith-based superiority**, which include: strengthening belief in Allah, holding onto Him, providing rational foundations for belief, debunking heretical ideas, clarifying the concept of disbelief, diminishing the importance of the worldly life (Dunya) in comparison to the Hereafter (Aakhirah), appreciating the merits of Islam, following examples of faith-based superiority, preserving the distinctiveness of Islamic identity, and seeking guidance from divine revelation.

The research methodology is based on the inductive analysis of Shari'ah texts and interpreting their implications within the context of the contemporary civilizational conflict.

The research concludes that strengthening faith-based superiority requires solidifying belief in Allah, reliance on Him, establishing rational arguments based on truth, refuting falsehoods, and maintaining clear doctrinal distinctions while viewing the world from a Hereafter perspective.

The researcher recommends solidifying this concept within the discourse of Islamic preaching and education, boosting the confidence in the superiority of Islam among youth, and intensifying scientific efforts to dismantle westernizing narratives with firm, scientific language.

Keywords:

Faith-based Superiority, Westernization, Islamic Identity, Pride, Trust in Allah (Tawakkul), Demonstrative Proof, Dawah, Cultural Resistance.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله حقَّ حمده، والصلاة والسلام على محمدٍ نبيه وعبده، وعلى آله وصحبه وأجمعين. أما بعد.

فإن أعظم نعم الله علينا أن هدانا للإسلام، فأنزل إلينا أفضل كتبه، وأرسل إلينا أفضل رُسله، وشرَعَ لنا أفضل شرائع دينه، فما أجله من فضل، وما أعظمها من منّة، يقول تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، ويقول عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ولقد حُقّ لمن أسبغ الله عليه هذه المنّة أن يفرح بها ويتهجد، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨]، وحقّ له أن يعتزّ بها ويستعلي، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وإنّ من أعظم الحملات والمعارك التي يوجهها أهل الإسلام منذ حقبة الاستعمار، حملة التغريب الآثمة، التي تستهدف كسر الحصانة الشرعية، والمدافعة الإيمانية، والانحناء أمام رياح الحضارة الغربية وتيارها، وهي حملة مقصودها بالأساس تحقيق التبعية الكاملة للغرب من خلال إذابة العقيدة والهوية الإسلامية، وصهرها في بوتقة الحضارة الغربية، ليسهل تشكيلها وقيادها.

وتحت وطأة هذه الحملة، التي تعرضت فيها عقائد كثير من المسلمين، من خاصّتهم وعامّتهم، لزعة الثوابت، وتحريك المسلّمات، يبرز الاستعلاء الإيماني سداً منيعاً، وصخرةً صامدة، تتلاطم عليها محاولات التغيير تلك. فاستعلاء المؤمن بإيمانه واعتزازه بدينه، وثقته المطلقة بعلو الإسلام على سائر الأديان والأفكار والمعتقدات، يمنحه الثبات والحصانة في مواجهة الشبهات الفكرية وتحديات الهوية.

ولمّا كان من فضل الله تعالى وسنته التي اقتضاها كماله وحكمته، أن يقع التدافع بين الحقّ والباطل، وألا يُدال الباطل على الحقّ إدالة مستمرّة مهما تعالى الباطل واستكبر، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، كان من حكمة الله أن يبقى في أهل العلم من هم على الدين ثابتون، وعلى الحقّ ظاهرون عالون، يثبتون المؤمنين، ويهتفون فيهم: لا تبرحوا أماكنكم وابقوا صامدين، وإن من أهم وسائلهم في تحقيق ذلك، بثّ الروح المستعلية فيهم على سائر الأفكار المهاجمة لدينهم القويم.

ومن هنا جاء هذا البحث إسهاماً في هذا الدور الشريف، للوقوف على حقيقة الاستعلاء الإيماني ومشروعيته ودوره في مواجهة التغريب، ثم البحث عن أهم الوسائل العملية التي تضمن بإذن الله الوصول إلى تلك الغاية الشريفة، فكان بعنوان: «الاستعلاء الإيماني: وسائله، وأثره في مواجهة التغريب».

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث من جانبين:

- جانبٍ دينيٍّ ثقافيٍّ: حيث يسعى البحث إلى كشف الأسس الفكرية البرهانية التي تحصّن المسلم من التأثير بالفكر التغريبي.

- جانبٍ دعويٍّ تربويٍّ: حيث يوفّر البحثُ منهجيةً واضحةً يمكنُ استثمارها في الدَّعوةِ إلى الله، والتأكيدِ على العِزَّةِ الإيمانية، وتربية الأجيال المسلمة على الاعتزاز بالإسلام.

أهداف البحث:

- ١ - كشف مفهوم الاستعلاء الإيماني من منظور النصوص الشرعية.
- ٢ - تحليل أثر الاستعلاء الإيماني في مواجهة الفكر التغريبي وبيان دوره في الحفاظ على الهوية الإسلامية.
- ٣ - استقراء وسائل تعزيز الاستعلاء الإيماني لدى الأفراد والمجتمعات الإسلامية.

منهجية البحث:

- يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي، حيث يتم:
- استقراء النصوص الشرعية المتعلقة بالاستعلاء الإيماني وتحليل دلالاتها.
 - تحليل العلاقة بين وسائل الاستعلاء الإيماني ومواجهة الفكر التغريبي.
- والله أسأل التوفيق والسداد، والقبول والنفع، والحمد له أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

المبحث الأول

معنى الاستعلاء الإيماني وأهميته في مواجهة التغريب

المطلب الأول: الاستعلاء الإيماني في اللغة والشرع:

أولاً: الاستعلاء لغةً:

الاستعلاء في اللسان العربي هو الارتفاع والظهور، فهو بمعنى حصول العلو، أي أن استعلاء بمعنى علا، والسين والتاء فيه مزيدة للتأكيد، مثل استكبر بمعنى تكبر، واستجابة بمعنى أجاب^(١).

وقيل: الاستعلاء هو إظهار العلو، سواء أكان هناك علو في الواقع أم لا^(٢).

ثانياً: الاستعلاء شرعاً:

جاء العلو في نصوص الشرع مقترناً بالإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فالعلو هنا حاصل للمؤمنين بسبب إيمانهم، واستعلاؤهم هو اصطباغهم بصبغة هذا العلو وشعورهم به.

وعلى هذا فيمكن بيان الاستعلاء الإيماني شرعاً بأنه: اعتزاز المؤمن بإيمانه، وشعوره بعلوه بدينه على سائر أصحاب الأديان والأفكار المخالفة له.

ويمكن توضيح معالم هذا المفهوم في ثلاثة عناصر:

١- أن الاستعلاء شعور باطنٌ بالعزة والعلو.

٢- أنه استعلاء على كل من دان بغير دين الإسلام بغض النظر عن دينه أو دنياه.

(١) ينظر: الكتاب لسبويه (٤/ ٧٢)، والصّحاح للجوهري (٦/ ٢٤٣٧)، وشرح التسهيل لابن مالك

(٣/ ٤٥٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/ ٢٥٧).

(٢) ينظر: حاشية البناي على شرح المحلى لجمع الجوامع (١/ ٣٦٩).



٣- أنه مرتبط بالإيمان لا بالمفاهيم الوضعية أو الأديان المحرّفة، وليس مرتبطاً كذلك بالقوة العسكرية أو الرفعة المادّية.

ثالثاً: مشروعية الاستعلاء الإيماني:

يدلّ قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، على أنّ طلب الاستعلاء الإيماني مشروع للمؤمن؛ لأنه سيق مساق الترغيب في الإيمان والامتنان بأثره، وأنه من مقتضى الإيمان بالله والانتساب للدين، وفي كتاب الله تعالى مواضع أخرى سيأتي ذكرها، تُرتّب على الإيمان أوصافاً تقتضي العلو وتشبّهه، كالعِزّة والظهور، مما يدلّ على مشروعية طلب هذا الأمر والسعي إليه.

وحيث إنّ الاستعلاء المطلوب هنا هو الاستعلاء الإيماني، فلا تُعارض هذه المشروعية بما جاء في الشّرع من ذمّ الاستعلاء والفخر بغير الدين، كما في قوله تعالى -بعد ذكر إهلاك قارون وخسف الأرض به-: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، وذلك لأنّ العلوّ المراد في الآية: هو البغي والتكبر والتعالي الدنيويّ الأرضي، كما تدور عليه عبارات أئمة التفسير^(١)، وهو ما يدلّ عليه هذا السّياق القرآنيّ أيضاً، حيث جاءت الآية السابقة في ذمّ ما وقع من قارون، من فرحه بالدنيا وافتخاره على قومه بماله وزينته، علماً أنّ هذا التعالي مصطنع، يُخفي تحته خزيًا ومهانةً ألزماههما الله كلّ كافرٍ ومتكبرٍ على وجهه، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * تَأْنِي عِطْفَهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨-٩]. قال السعدي: «وهذا من آيات الله العجيبة، فإنك لا تجد داعياً

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٢٤٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٢)، وموسوعة التفسير المأثور (١٧/ ٢٣٧).

من دعاة الكفر والضلال، إلا وله من المقت بين العالمين واللعنة والبغض والذم ما هو حقيق به، وكل بحسب حاله»^(١).

ومن هنا فينبغي الفصل بين مفهوم الاستعلاء الإيماني وبين التكبر والتعالي النفسي، وذلك من وجوه:

١- أن الاستعلاء الإيماني راجع لوصف الإيمان والدين، وهو ممدوح شرعاً، وأما الكبر والتعالي فناشئ عن الدنيا وزخارفها، وهو أمر مذموم شرعاً.

٢- أن المستعلي بإيمانه إنما يصدر عن ملاحظة علو الله وعظمته وعلو دينه، بخلاف المستكبر فإنما يغتر بنفسه ويلحظ كمالها وما تحوزه من مادة، فرجع الاستعلاء الإيماني إلى أمر خارجي حقيقي يُتعلق به، والاستكبار إلى وهم داخلي يُتلبس به، فالمؤمن حين يستعلي بالإيمان لا ينسب الاستعلاء لنفسه، وإنما ينسبه لربه الذي آمن به، ورسوله الذي اقتدى به، ولدينه الذي اختاره له، ويستشعر من الاستعلاء باعتبار انتسابه لذلك وتبنيه له وسعيه إلى تحقيقه، لا باعتبار تزيته لنفسه وفخره بذاته وبعمله، كما يفعل المستكبر.

٣- أن الاستعلاء مرتبط بالإيمان كما في الآية، وتحقيق الإيمان على وجه التمام غير متيقن للمؤمن، ولذلك قال أهل السنة والجماعة بالاستثناء في الإيمان باعتبار عدم تيقن بلوغه المرتبة الكاملة، كما جاء عن السلف^(٢).

٤- أن إظهار هذا الاستعلاء يكون بحسب المقام، ولكل مقام مقال، فمقام الحجّة والبرهان مقام استعلاء دائم لا يتخلّف، ومقام الأسلوب الخشن وازدراء أهل الكفر يصلح في حال دون حال، كمثل الجهاد أو التعرض لاستهزاء الكفار، كما أمر الصحابة بإجابة أبي

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣/١٠٩٢).

(٢) ينظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، د. عبد الرزاق البدر، ص ٤٦٣.

سفيان حين قال: **اعلُ هُبَلٌ**، فقالوا: «الله أعلى وأجلُّ!»^(١)، وكما قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَيَضَعُ الْمُنكَّرَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]، وقد أخبر النبي ﷺ أن من الخيلاء التي يحبها الله «اختيال الرجل في القتال» وأن الخيلاء التي يبغضها الله «اختيال الرجل في البغي والفخر»^(٢).

وأما مقام الدعوة وترغيب المخالفين، فيحسُن فيه استعمال الرِّفق، الذي يستلزم إظهار شيءٍ من التواضع والتلطّف في التعامل الشخصي، دون مداهنة أو ضعة في الدين، بل يبقى ظهور الحجة وثبات المبدأ سيّد الموقف.

رابعاً: دوام الاستعلاء الإيماني:

يفهم من قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، أن ارتباط الاستعلاء بالإيمان فقط يقتضي انفكاكه عن العلوّ الدنيوي، فليس الاستعلاء الإيماني وصفاً ظرفياً يتراوح بحسب قوة السيف والسُّلطان، بل هو مرتبط بالإيمان وحده، ولذلك يبقى ملازماً للمؤمنين حتى في حالات استضعافهم، ويتبيّن هذا بوجوه:

١- أن الآية نزلت عقيب ما أصاب الصحابة من قرح وكرٍ في غزوة أحد، واستشهد منهم سبعون، ومع ذلك واساهم الله تعالى بهذا القول.

ووجه علوّهم - مع ما أصابهم - أنّهم في باطن الأمر فائزون؛ لأنّ ما أصابهم باقٍ ذخراً لهم عند الله فلم يخسروا شيئاً، ولأنّهم في محصّلة المعارك السابقة واللاحقة أيضاً أعلى

(١) رواه البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما (رقم ٤٠٤٣).

(٢) رواه أحمد (رقم ٢٣٧٤٨)، وأبو داود (رقم ٢٦٥٩) والنسائي (رقم ٢٥٥٧)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٧/ ٥٩، رقم ١٩٩٩).

ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»، رواه البخاري ومسلم^(١).
فقوله: (لا تزال)، يفيد البقاء والاستمرار، والظهور هو الغلبة والعلو^(٢)، وقال
الكوراني: «المراد من الظهور الغلبة على الخصم، وذلك إنما يكون بالحجة؛ لأن السيفَ
بدون الحجة - كما قيل - مخراقٌ لآعب!»^(٣).

٤- أن النصوص الدالة على علو المؤمنين لا تختلف في مكّي القرآن ومدنيّه، مما يدلّ على
أن هذا العلو ليس حادثاً لهم بعد الهجرة والنصر، بل هو دائمٌ مستمر، ومن أمثلة ذلك
خطاب المفاصلة والبراءة من الكفار، وتسفيه عقولهم ورأيهم في كفرهم وشركهم، وهو
في السور المكية كثير.

٥- أن الاستعلاء الإيماني ظاهر في خطاب الأنبياء لأقوامهم المكذبين، مع كثرتهم وقوتهم،
كما سيأتي ذكر نماذج منه.

(١) صحيح البخاري (رقم ٧٣١٢)، وصحيح مسلم (رقم ١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه،
واللفظ للبخاري.

(٢) ينظر: إرشاد الساري للقسطلاني (١٠ / ٤١٨).

(٣) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (١١ / ١٦١).

المطلب الثاني: أهمية الاستعلاء الإيماني في مواجهة التغريب.

أولاً: معنى التغريب وحقيقته:

يعدّ التغريب (Westernization) أحد أبرز الأسلحة التي تواجهها أمة الإسلام في إطار الصّراع الفكري والحضاري بينها وبين أمم الغرب، إذ يُمثّل تياراً فكرياً وثقافياً يعمل على طبع المجتمعات الإسلامية بطابع الحضارة الغربية، ويسلبها خصائصها الذاتية ومقومات تفردها. فقد عرّف التغريب بأنه: تيارٌ فكري يعمل على طبع العرب والمسلمين والشّرقيين عامّةً بطابع الحضارة والثقافة الغربية^(١).

وعرّف بأنه «تيارٌ فكري كبيرٌ ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية»^(٢). وبناءً على ذلك، فإنّ التغريب لا يمكن أن يستقرّ في بلاد المسلمين إلا بعد نزع الهوية الثقافية الإسلامية والعربية منهم لزومًا، لأنها تشكل الخطّ الدفاعي الأول والأساس في وجه هذا المشروع، ولأنهما ضدّان لا يجتمعان. ثانيًا: آليّة التغريب:

يمثّل التغريب واحدةً من أخطر صُور الغزو الثقافي والفكري في العصر الحديث، إذ لا يقتصر على التأثير في بعض السلوكيات أو المظاهر الاجتماعية، بل يستهدف أعماق هويّة المسلم وانتمائته، سعيًا لصهره في بوتقة الحضارة الغربية. وتتمثّل آليّة التغريب وخطّته المرحليّة فيما يلي:

(١) ينظر: حصوننا مهددة من داخلها لمحمد محمد حسين (ص ١٠١).

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢ / ٦٩٨).

- ١ - الهدف من التغريب هو تحقيق التبعية الكاملة للمجتمعات الإسلامية للغرب، لا من جهة الصناعة أو التقنية فقط، بل تبعية فكرية وثقافية وحضارية، تُفرغ الأمة من خصوصيتها، وتنقلها إلى موقع التلقي والاتباع، لا المشاركة والمنافسة.
- ٢ - ولتحقيق هذا الهدف لدى الشعوب، لا بد من إذابة الهوية الحضارية والثقافية الإسلامية الخاصة بها، وصهرها في بوتقة الثقافة الغربية.
- ٣ - تعتمد هذه الإذابة على كسر الصلابة النفسية التي تمنح تلك الهوية قُدرتها على المقاومة، إذ لا يمكن للتغريب أن ينجح في بيئة تمتلك مناعة داخلية وإيماناً راسخاً بتميزها، فالعامل النفسي هو الركيزة الأهم التي يُبنى عليها مشروع التغريب.
- ٤ - مبنى هذا العامل النفسي على إقناع المستهدف بتخلف حضارته وفكره وانحطاطهما، في مقابل الحضارة الغربية التي تمثل العلوّ والرقىّ والسبق في كل المجالات، فيُدفع إلى قياس ذاته وحضارته من خلال المعايير الغربية^(١).
- ٥ - لأجل ترسيخ هذا الشعور، تُشوّه الثقافة الإسلامية، وتُعرض في صورة دونية تُثير الخجل لدى أبنائها، بينما يُرَوِّج للحضارة الغربية بوصفها النمط الأمثل، فيُعزّي الانبهار بها، وتُربط بها معاني التحضر والتقدم.
- ٦ - متى نجح ذلك العامل النفسي، استشعر الشعب المستهدف أن التغريب هو الوسيلة الوحيدة للانتقال إلى عالم الحضارة والتقدم، وأن رفضه له وبقائه على هويته الإسلامية هو تمسكٌ بالتخلف والرجعية.
- ٧ - وعند هذه المرحلة، يذوب الشعب المستهدف، ويفلت من يده ما كان متشبثاً به من عقيدته وهويته، وينتقل إلى محاكاة الغرب وتقليدهم في فكرهم وسلوكهم ونمط

(١) ينظر: الهزيمة النفسية عند المسلمين، د. عبد الله الخاطر (ص ١٨-١٩).

مناعةً فكرية ووجدانية، تصنع لديه استعصاءً على التبعية، لأنه يرى نفسه عزيزاً بمنهجه وبأتمته، ولا يرى التبعية لائقةً به، ويُبصر ما لدى الغرب من انحطاطٍ دينيٍّ وقيميٍّ، فلا تَبهره حضارته، ولا يراها سوى برقِ خُلبٍ خادع، ويعلم أن ما لديهم من تقدم مادي لا يرقى ليكون أنموذجاً قيمياً أو روحياً يُحتذى، ويعمل على فرز ما يراه من منجزات الغرب بعينٍ بصيرة، تميّز بين ما يصلح وما لا يصلح، فيطرحُ الفاسدَ الضار، ويُفيدُ من النافع الحسن، لأنَّ الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق الناس بها.

ومن النماذج القرآنية التي تجسّد هذا المعنى هدهد سليمان عليه السلام، وذلك أنّه حين رأى حضارة بلقيس بهرته وعجب منها، لكنّه استعلى بإيمانه، وأعملَ معياره الشرعي في وزن تلك الحضارة ومكوناتها، فاستحال انبهاره استنكاراً، وتعجبه ازدرأً واستصغاراً، كما قصّ الله تعالى خبره في كتابه أنه قال عن سبأ: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٣ - ٢٦].

ومن هنا فالاستعلاء الإيماني من أهم وسائل الحصانة الذاتية وآليات المقاومة الفكرية، التي تمنع الانسياق خلف التغريب، وتُبقي على الشخصية الإسلامية متماسكةً معتزةً بذاتها في منأى عن الذوبان والتقليد.

وهذا الدور الذي يقوم به الاستعلاء الإيماني غير ظاهر في زماننا على الوجه العام، لأن الاستعلاء الإيماني غير مفعّل في محاضن التعليم والتربية، وعلى مستوى الإعلام والتأثير، ولذلك فالسؤال عن دوره ينبغي أن يسبقه السؤال عن وجوده، وعن دور المصلحين في القيام به.

المبحث الثاني

وسائل تحقيق الاستعلاء الإيماني

من خلال استقراء النصوص الشرعية المتعلقة بهذا المبحث، وتحليل ارتباطها بمعاني العزة والاستعلاء الإيماني، يمكن إجمال وسائل تحقيق الاستعلاء الإيماني في عشر وسائل: **الوسيلة الأولى: تعزيز الإيمان بالله:**

أبرز الأوصاف الشرعية ارتباطاً وتأثيراً في الاستعلاء الإيماني هو الإيمان نفسه، فهو الوسيلة الأعظم والأساس في تحقيق هذا الاستعلاء، وما سواه من الوسائل تندرج تحته، ولقد ربط الله سبحانه العلو بتحقيق وصف الإيمان ربطاً شرطياً فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فالآية تدل على أن الإيمان هو شرط كونهم الأعلى على من سواهم، وفي الآية أقوال:

١- أن الشرط ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بقوله ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾.

والاستدلال على هذا الوجه ظاهر، لأنه جعل بقاءهم على الإيمان شرطاً للاستعلاء.

٢- أن المراد: أنتم الأعلى على كل حال، لو تصدقون وتؤمنون بذلك.

٣- أن الشرط ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بالنهي ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾.

والاستدلال على هذين الوجهين ممكن، من جهة أن الخطاب موجه إلى صحابة النبي ﷺ، وهم أولى الناس بتحقيق الإيمان على أكمل وجه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]، فهذا الخطاب إنما وجه لهم باعتبار تحقيقهم الإيمان، فإنه الوصف الوحيد الموجب لهذا الثبوت والعزاء ولتلك التزكية والثناء، ومنه قال ابن عطية: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ إخبارٌ بعلو أهل الإسلام^(١).

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٥).

ولأنه يفيد إيجاب الإيمان لترك الوهن والحزن، وتركهما فرع عن الاستعلاء.
قال الواحدي: «قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] يعني: أن الإيمان يوجب
ما ذكر من ترك الوهن والحزن، أي: من كان مؤمناً يجب ألا يهن ولا يحزن؛ لثقتة بالله عز
وجل»^(١).

وقال ابن عطية: «ويترتب من ذلك الطعن على من نجم نفاقه في ذلك اليوم، وعلى من
تأود إيمانه واضطرب يقينه: ألا لا يتحصّل الوعد إلا بالإيمان، فالزموه»^(٢).
وقال أبو السعود: «﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بالنهي، أو بـ ﴿الْأَعْلُونَ﴾، وجوابه
محذوف لدلالة ما تعلق به عليه.

أي: إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا؛ فإن الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بضع
الله تعالى وعدم المبالاة بأعدائه.

أو: إن كنتم مؤمنين فأنتم الأعلون فإن الإيمان يقتضي العلو لا محالة.

أو: إن كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فأنتم الأعلون»^(٣).

والحاصل أن الاستعلاء راجع في كل حال إلى سببية الإيمان وتأثيره، وإذا كان الأمر
كذلك، فإن الأثر يوجد بوجود سببه، ويزيد بزيادته، وهذا يقتضي أن الإيمان بالله تعالى
يورث المؤمن العلو والعزة والثبات، وكلما امتلأ القلب إيماناً برّب العالمين، وتوحيدها له،
واستحضاراً لعظمته وكماله وقهره وعلوه، عظم الاستعلاء الإيماني ونما واستقر.

ويشهد لهذا المعنى واقع الأمة، فإن علوها وعزها يتناسب في أحوالها بحسب وجود

(١) التفسير الوسيط (١/ ٤٩٦).

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٦).

(٣) إرشاد العقل السليم (٢/ ٨٩).

استطال الكفرة على المسلمين، لا بد من يوم يعود فيها أهل الإيمان ظاهرين، ومن أيقن أن النصر والظهور راجع إليه، لم ينكسر لظرفٍ عابرٍ وحالةٍ طارئة.

وقد جاءت النصوص بالبشارة بعلو الدين، كقوله ﷺ: «لا يبقى على ظهر الأرض بيتٌ مدرّ، ولا وير إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعزّ عزيزٍ أو ذلّ ذليل، إمّا يُعزّمهم الله فيجعلهم من أهلها، أو يُذلّهم فيدينون لها»^(١).

وقال ﷺ: «بشّر هذه الأمة بالسّناء، والرفعة، والنّصر، والتّمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب»^(٢).

فالنظر إلى المآل والعاقبة، يورث العبد استعلاءً إيمانياً، ثقةً بالله، وانتظاراً لتحقيق موعوده.

ومن هنا كان أهم أسباب مواجهة التغريب، عودة المؤمنين إلى إيمانهم برّبهم، لا إيمان الدعاوى والأسماء، بل إيمان الحقيقة والانتماء، فمتى حقّقوا ذلك لم يروا حضارة الغرب شيئاً، فضلاً عن أن ينهزوا أمام تياراتها.

الوسيلة الثانية: الاعتصام بالله والتوكّل عليه.

التوكّل على الله فرعٌ عن الإيمان به، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ومن جهة أخرى يقابل القرآن بين التوكّل على الله والاستعانة به،

(١) رواه أحمد (رقم ٢٣٨١٤)، وابن حبان (رقم ٦٧٠١)، والطبراني في المعجم الكبير (رقم ٦٠١) والحاكم (رقم ٨٣٢٤)، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٢، رقم ٣).

(٢) رواه أحمد (رقم ٢١٢٢٤)، وابن حبان (رقم ٤٠٥)، والحاكم (رقم ٧٨٦٢)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وقال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٨٢٥)، ومحققو المسند.

وبين الإيمان به وعبادته، فيقول سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ويقول: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، وذلك من جهة أن العبادة ترجع إلى حق الله تعالى في الخضوع والطاعة، والاستعانة ترجع إلى ربوبية الله وتمايم ملكه وسلطانه، فحين يدرك العبد أن الله هو المالك المتصرف المدبر للكون، وبيده النفع والضّر، يعتمد عليه ويفوض الأمر إليه، وحين يدرك كمال الله وإلهيته وحكمته في شرعه يعبده ويطيعه ويمثل أمره.

وقد ضمّن الله لمن توكل عليه واستعان به الكفاية والنصر والمعية والتأييد، فقال جلّ وعلا: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: ٣]. وضمّن لأهل الإيمان أن يكون معهم وأن ينصرهم وينجّهم ويؤمّمهم من كربات الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]، وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وشعور المؤمن بوكالة الله ومعونته له يبعث فيه ثقةً فيما هو مقبل عليه، وثباتاً عند المواجهة، وبذلك ثبت الله رسله الكرام في وجه أعدائهم، فقال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وبذلك ثبت موسى عليه السلام حين أيقن أصحابه بالهلاك على يد فرعون، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

وكان استحضار الأنبياء لهذه الولاية والنصرة يبعث فيهم الاستعلاء والعزة، ولذلك قال الله لموسى عليه السلام حين أمره بالقاء العصى يوم التحدي مع السحرة: ﴿لَا تَخَفْ

إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿ طه: ٦٨ ﴾ .

وهو مثل قوله تعالى مثبتاً المؤمنين بمعيتته ونصرته، باعثاً فيهم بوح الاستعلاء والعزة: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣-٣٥].

قال القرطبي: «وفي هذه الآية بيان فضل هذه الأمة، لأنه خاطبهم بما خاطب به أنبياءه، لأنه قال لموسى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، وقال لهذه الأمة: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾. وهذه اللفظة مشتقة من اسمه الأعلى فهو سبحانه العلي، وقال للمؤمنين: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾»^(١). وهكذا كان حال النبي ﷺ، فلقد كان يُثني على ربه في دعاء القنوت فيقول: «إِنَّهُ لَا يَذُلُّ مِنْ وَالِيَّتِ»^(٢)، وحين صاح أبو سفيان بالمؤمنين بعد غزوة أحد: لَنَا الْعُرَى، وَلَا عُرَى لَكُمْ! أظهر ﷺ هذا الاستعلاء الإيماني، فأمرهم أن يردوا عليه فيقولوا: «اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ»^(٣).

وبعدها بقليل، لما بلغ المؤمنين اجتماع مشركي قريش للعودة إليهم، استحضروا هذه المعونة والوكالة الربانية، فلم يهنوا أو ينكسروا، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢١٧).

(٢) رواه أحمد (رقم ١٧٢٣)، وأبو داود (رقم ١٤٢٥)، والترمذي (رقم ٤٦٤)، وحسنه، والنسائي (رقم ١٧٤٥)، وابن ماجه (رقم ١١٧٨)، من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، وصححه النووي في الأذكار (ص ٦٠)، والألباني في أصل صفة صلاة النبي ﷺ (٣/ ٩٧٥).

(٣) رواه البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما (رقم ٤٠٤٣).

ومن هنا كانَ النقضُ البرهاني للأفكار الكفرية من أهم وسائل ترسيخ الاستعلاء الإيماني في النفوسِ وصيانتها من التأثر بتلك الأفكار، لأن هذا النقض البرهاني يُسقط هالة الانبهار التي تحيط بالأفكار الوافدة تلك، ويُبطل سحرها الخادع، ويُظهر هشاشتها من الداخل، فمتى ما فهم المؤمن دينه، وامتلك أدواتِ النقدِ العقليِّ والنقليِّ، كَشَفَ عُوَار تلك الفلسفات، وأظهر انحرافها عن العقل السليم والفطرة القويمية، وأدرك آثارها المدمرة على الإنسان والأسرة والمجتمع، فزال الانبهار بها، وانقلب الإعجاب بها إلى ازدراء.

وليس النقضُ البرهاني مجرد الردِّ على الشبهات، بل يشمل أيضًا بيانَ التفوقِ القيمي والمعرفي للإسلام، وفضح تناقضات النموذج المخالف له وتعارضه مع العقل والفطرة، واستلزامه اللوازم الفاسدة رُغم ما يرى له من بريقٍ ظاهري.

ومن تأمل طريقة القرآن الكريم وجده يسلك هذا النهج، فإنه لا يكتفي بتقرير الحق، بل يواجه الباطل مواجهةً عقليةً محكمة، تنقضه من داخله، وتُظهر تناقضه وفساد لوازمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، أي لا يعارضونك بشبهةٍ وقياسٍ عقليٍّ فاسدٍ إلا ردَدنا عليه بالحقِّ وأحسنَ مما جاءوا به بيانًا وتفصيلًا^(١)، ويبيِّن سبحانه ما في كتابه من كشف سُبُل المضلِّين، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، وهو أمرٌ يدرك باستقراء الحجج القرآني. ومن أمثلة ذلك ما نراه في محاجَّاتِ القرآن لأهل الكتاب والمشركين، وما حكاه من محاجَّة الأنبياء لأقوامهم وصناديد الكفر المستكبرين، كمحاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود، ومحاجة موسى عليه السلام لفرعون.

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧ / ٤٤٨)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤ / ١٠٦).

والمتابع لمنافذ التغريب على الأمة الإسلامية، يجد أن الإخلال بهذه الوسيلة من أعظم أسباب ولوج التغريب إلى المسلمين وتأثرهم به، فكم من مصطلح فضفاضٍ خادع، ألبس معاني مشبوهة، راج على المسلمين ونفق في سوقهم دون نكير، على غفلةٍ وحسن نية، كمصطلح التسامح والتقارب، ونبذ الكراهية والإرهاب، وغيرها من مصطلحات تجمع في مضامينها المقبول والمردود، ولو أنها وضعت على طاولة البحث، وأجري عليها مبضعُ النقد، لزال التلبيس وسلم المسلمون من ابتلاع ما لا يقره دينهم من المفاهيم.

الوسيلة السادسة: تصغير شأن الدنيا في ميزان الآخرة.

سبق أن من أكبر مداخل التغريب على النفس الانبهار بالحضارة الغربية، والتي قوامها على الصعود والعلو المادّي الدنيوي، ولذلك كان من أهم وسائل الاستعلاء الإيماني على الحضارة المادّية النظر إليها بحجمها الحقيقي، فالدنيا -كاسمها- دنيا، لها الدنو والسفل، وهي دون في النعيم وفي المنزلة وفي السرور وفي الوقت، فمهما علا أهلها وارتفعوا فعلوهم ليس بشيء إذا ما قورن بالآخرة.

ولما اقتضت حكمة الله أن تكون الدنيا وما فيها زينةً وزخرفاً للابتلاء والاختبار، وحفّت النار بشهواتها، كان من أظهر مقاصد القرآن تنبيه المؤمنين على هذه الحقيقة، لينجو من آمن ويبصر الحقيقة، وتظهر طريقة القرآن في تحقيق هذا المقصد في أمور، من أبرزها:

١- إخبار الله تعالى عن الدنيا بما يكشف حقيقتها ودونيتها ويزيل بريقها وبهرجها، كما في قوله سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وحين دخل على النمرود فناظره وأفحمه، إذ قال له: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

- موسى عليه السلام، وذلك أنه كان خائفاً من بطش فرعون أول الأمر، فثبته الله وبث في قلبه روح الاستعلاء بالإيمان، قائلاً له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨]، وآزره سبحانه بأخيه هارون، وقال لهما: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، فدخل على فرعون الجبار فحاجه وناظره، وقال له بعزة المؤمن: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

- سحرة فرعون، الذين حين ظهر لهم الحق، لم يترددوا في إعلان إيمانهم غير آبهين لوعيد فرعون وتهديده، فقالوا له: ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢].

- وفي سيرة النبي ﷺ ما لا يُحصى من صور الاستعلاء، من حين أمر بالصّدع بالدعوة، فصعد على الصفا، ووقف في قريش يناديهم: «أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»^(١).

وبعد ذلك شكّوه إلى عمه أبي طالب، فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا؛ فانهه عنا. فدعاه فقال له: إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم فانهه عن أذاهم، فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: «أترون هذه الشمس؟» قالوا: نعم، قال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة، فقال أبو طالب: «والله ما كذب ابن أخي قطّ، فارجعوا»^(٢).

(١) صحيح البخاري (رقم ٤٧٧٠)، وصحيح مسلم (رقم ٢٠٨).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (رقم ٢١٧٠)، وأبو يعلى في مسنده (رقم ٦٨٠٤)، والطبراني في المعجم الكبير (رقم ٥١١)، والحاكم في المستدرک (رقم ٦٥٤٦)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ١٩٤، رقم ٩٢).

- وهكذا فعل أصحابه رضي الله عنهم، فقد ضربوا أمثلةً عجيبةً في الاستعلاء بالإيمان:
- فباللّ رضي الله عنه يعدّب ويطاف به في شعاب مكة، فيردّ بعزّ وإباء: «أحد أحد»^(١).
 - وخبيب بن عدي يغدر به المشركون، ويقدمونه للقتل في مكة، فيقول:
فلسْتُ أبالي حين أُقتل مسلماً على أي جنبٍ كان في الله مصرعي^(٢)
 - وربيعي بن عامر رضي الله عنه يدخل على رُسْتَم قائدِ الفرس، فيهين أبهته وزينته، ويقول بضم ملؤه العزّة والاستعلاء: «الله ابتعثنا، والله جاء بنا؛ لتُخرج من شاء من عبادة العباد، إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبداً، حتى نفضي إلى موعود الله»، فقال رستم: وما موعود الله؟ قال: «الجنة لمن مات على قتال من أبي، والظفر لمن بقي»^(٣).
 - وهكذا ربّاهم وعلمهم إمامهم وقدوتهم ﷺ، فحين جاء أبو سفيان بعد غزوة أحد، وكان رأس المشركين، فجعل يقول: اعل هُبَل! فقال النبي ﷺ: «أجيبوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل»، فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم»^(٤).

(١) رواه أحمد (رقم ٣٨٣٢)، وابن ماجه (رقم ١٥٠)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص ١٢١).

(٢) رواه البخاري (رقم ٣٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تاريخ الرسل والملوك للطبري (٣/ ٥٢٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٦٢٢).

(٤) سبق تخريجه.

وقد راعت الشريعة الحفاظ على هذه الهوية ومنع ذوبانها بموالاتة أعداء الله والانتماء إليهم ومودّتهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

ونَهتِ الشريعة عن التشبه بهم، فصَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١). قال ابن كثير: «فيه دلالة على النهي الشديد، والتَّهديد والوعيد، على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تُشرع لنا ولم تُقرَّر عليها»^(٢).

وقال ابن رجب الحنبلي: «هذا يدلُّ على... النهي عن التشبه بأهل الشرِّ، مثل أهل الكُفر والفُسوق والعِصيان»^(٣).

وجاء في نصوص أخرى ما يدلُّ على أنَّ من مقاصد الشريعة الظاهرة مخالفة المسلم للكفار في هيئاتهم وعاداتهم، مثل ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّه قال: «رأى رسولُ الله ﷺ عليَّ ثوبين مُعصَفَرَيْن، فقال: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ؛ فَلَا تَلْبَسْهَا»^(٤).

(١) رواه أبو داود، (رقم ٤٠٣١)، وأحمد (رقم ٥١١٤)، وابن أبي شيبة (رقم ٣٣٦٨٧)، والإسناد حسَّنه ابن حجر في فتح الباري (٢٧١/١٠)، والألباني في إرواء الغليل (١٠٩/٥)، رقم ١٢٦٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٢).

(٣) الحَكَم الجَدِيدَة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: «بُعِثْتُ بِالسِّيفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ» لابن رجب، ضمن مجموع رسائله (٤/٢٢٧).

(٤) صحيح مسلم (رقم ٢٠٧٧).

وأمر رسول الله ﷺ بمخالفة المشركين فيما يظنونها بلحاهم وشواربهم فقال: «خالفوا المشركين، أحفوا الشوارب، وأوفوا اللحى»^(١)، وقال في حديثٍ آخر: «خالفوا المجوس»^(٢).
 وأمر ﷺ بصبغ الشعر لأجل ذلك فقال: «إنَّ اليهودَ والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»^(٣).
 بل قد بلغَ اهتمامُ النبي ﷺ بهذا الأمر أنَّ يهودَ المدينة عرَّفوا ذلك منه، وشعروا أنَّه يريد أن يخالفهم في جميع ما اختصَّوا به من شؤونهم، فلما أمر بمخالفتهم ﷺ في مجانباتهم الحائضَ وتركهم مؤاكلتها ومجامعتها في البيوت فقال ﷺ: «اصنعوا كلَّ شيءٍ إلاَّ النكاح»، قالوا: «ما يريدُ هذا الرجلُ أن يدعَ من أمرنا شيئاً إلاَّ خالفنا فيه!»^(٤).
 قال ابن تيمية: «هذا الحديثُ يدلُّ على كثرة ما شرَّعه اللهُ لنبيه ﷺ من مخالفة اليهود، بل على أنَّه خالفهم في عامَّة أمورهم»^(٥).

وهذا الأمر بالمخالفة في الشكل الظاهر أمرٌ حكيم، فإن المشاكلة الظاهرية تؤثر في شخصية المسلم وهويته ونفسيته، وتورثه شيئاً فشيئاً المشاكلة الباطنة، وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله: «لا يُشبهُ الزَّيُّ الزَّيَّ حَتَّى تُشَبِّهَ القلوبُ القلوبَ»^(٦).

(١) صحيح البخاري (رقم ٥٨٩٢)، وصحيح مسلم (رقم ٢٥٩)، واللفظ له، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) صحيح مسلم (رقم ٢٦٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري (رقم ٣٤٦٢)، وصحيح مسلم (رقم ٢١٠٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم، (رقم ٣٠٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٣٤).

(٦) رواه وكيع في الزهد (٢/٥٩٧، رقم ٣٢٤)، وابن أبي شيبة (١٩/١٦٧، رقم ٣٥٦٩٠)، وهناد في الزهد

(٢/٤٣٨، رقم ٨٦٢)، وفي إسناده ضعف؛ لحال ليث بن أبي سليم، قال ابن حجر: «صدوقٌ اختلط جدًّا ولم

يتميز حديثه فترك». تقريب التهذيب (ص ٨١٨، رقم ٥٧٢١).



وقد جعل ابن تيمية هذا الأمر من مضامين سلوك الصراط المستقيم واجتناب سبيل المغضوب عليهم والضالين، فقال: «إن الصراط المستقيم هو أمورٌ باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمورٌ ظاهرة: من أقوال أو أفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك. وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً»^(١).

ثم استشهد لذلك بأمر، منها: «أن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس؛ فإن اللباس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللباس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك، إلا أن يمنعه مانع»^(٢).

ومن هنا، فإنه لا يمكن للاستعلاء الإيماني أن يتحقق في بيئة مائعة الهوية، مندمجة في ثقافة الآخر اندماجاً تفقد به معالمها الخاصة، ووجب حينئذٍ الحرص على إبقاء الهوية الإسلامية متميزة واضحة المعالم في التصور، والسلوك، والانتماء، والمظهر، واللغة، والولاء، بعيداً عن الذوبان في أنماط الحياة الغربية، أو محاكاة المجتمعات غير الإسلامية بدعوى التقدم أو المعاصرة.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٩٢).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٩٣).

الوسيلة العاشرة: الاهتداء بالوحي والاستغناء به.

جعل الله تعالى وحيه وبعثه رسوله ﷺ رحمةً على الناس وهدى، ولأجل ذلك جعل في القرآن والسنة ما يكفي ويشفي لتبصير الناس بأسباب سعادتهم ونجاتهم من ضلالات الدنيا وكربات الآخرة، وبذلك تكفل سبحانه لمن اتبع هداياه، فقال: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أَجَارَ اللَّهُ تَابِعَ الْقُرْآنِ مَنْ أَنْ يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا، أَوْ يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ». ثم قرأ هذه الآية^(١).

وهذه الكفاية الربانية تقتضي أن يكون الوحي وافيًا شافيًا في تحصيل أصول المعارف التي تترتب عليها سعادة الإنسان، من مثل بيان أسس المعرفة ومصادرها، والإخبار عن الغيب وتصحيح الاعتقاد وسلوك الديانة الصحيحة، والدلالة على القيم والأخلاق والتشريعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والهدايات الفكرية والنفسية والسلوكية، بما لا يبقى سببًا لحصول الفساد والانحراف.

ومما يدل على هذه الكفاية التي ضمنتها القرآن وحققتها، أن النبي ﷺ إنما كان يهدي الناس به ويدعوهم إليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١ - ٩٢]، وقال جل شأنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (رقم ٣٤٧٨١)، والطبري في جامع البيان (١٦ / ١٩١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٦ / ٢٦٤)، والطبراني في المعجم الكبير (رقم ١٢٤٣٧). وينظر الدر المنثور للسيوطي (١٠ / ٢٣٩).

وأنكر سبحانه على من لم يهتد به، وبين أنه لا سبيل إلى الهداية بغيره، فقال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجمانية: ٦].

وبين سبحانه كفاية القرآن، ناعياً على المبطلين مطالباتهم بسواه من الآيات المحسوسة، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وهذه الكفاية في الهداية المقررة هنا لا تستلزم -بطبيعة الحال- دلالة الوحي على تفاصيل العلوم الطبيعية والمادية التي تسهم في تطوّر حياة الناس وتسهيل وسائل معيشتهم، وإن كان الوحي هدى إلى أصولها بإرشاده إلى النظر والسعي في الرزق، وامتنانه بخلق ما في الأرض جميعاً للناس، كما أنّ هذه العلوم ووسائل لرفاهية الحياة، وليست عماد السعادة واستقامة الحال، بدليل أنها حديثة ودائمة التطوّر، في حين أنّ سعادة الإنسان واستقامة أحواله قديمة غير مرهونة بعصر أو نتاج تطوّر وتحضّر.

وليس الوحي كافيًا وكاملًا فحسب في هداية الإنسان وصياغة تشريعاته وأنظمتها، بل له الأكمليّة والوصف الأعلى والأفضل في ذلك، كما قال تعالى في بيان أفضلية وحيه في الهداية والإرشاد: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وبين جلّ وعلا أفضليته في الأحكام والتشريعات بقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ولأنّ الوحي هو المصدر الأكمل للهداية والتشريع، فقد جعله الله موجّباً لحصول العزّة والشرف والعلو، كما نبه تعالى على ذلك فقال: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أي شرفكم^(١)، وقال في سياق أمر رسوله ﷺ بالثبات عليه واليقين به:

(١) ينظر: موسوعة التفسير المأثور (١٤ / ٤٨٣).

﴿فَأَسْتَمْسِكُ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿ [الزخرف: ٤٣ - ٤٤]. يعني أن القرآن شرفٌ ورفعَةٌ لك ولقومك (١).

كما جعله الله تعالى سبباً لاجتماع الكلمة التي هي قوةٌ ومنعة، قال الله تعالى:
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولذلك فالوحي ليس خياراً معرفياً من بين عدة خيارات، بل هو المرجعية الوحيدة المعصومة، التي ترجع إلى علم الله، وتحقق وصف الأكمالية في الهدى والإرشاد، والشراء العقدي والشّرعي والأخلاقي، وتُحيي القلوب، وتضيء العقول، وتُرشد في زمن التيه، وتحقق العزّ والعلوّ.

وإذا كان الأمر كذلك، فاستشعار المؤمن لقيمة هذا المصدر الربّانيّ وأنه لا مزيد عليه في استقاء المعارف والعلوم الغيبية والقيمية وتصوّر الغايات والأولويات، واستغناؤه وارتواؤه به، يورثه عزّة واستعلاءً على المصادر الأخرى، وأنفةً من أن يتبع المصدر الدونيّ ويجعله بديلاً لذلك المصدر العلويّ.

ولذلك قال تعالى آمراً بالاكْتفاء باتّباع ما أنزل والإعراض عمّا سواه: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وإذا علم أنّ من أسباب التبعية للغرب الانبهار بآراء فلاسفتهم ومفكريهم في أبواب العلوم الإنسانية والتشريعات الوضعية، وظنّ حاجة الإسلام إلى تأكيد من الخارج، وأنه لا يقبل منه إلا ما راق المزاج الغربيّ ووافق مناهجه وفلسفاته، فإن إدراك أنّ ما في الوحي الإلهي من الشراء المعرفي، والهداية إلى أهم المطالب؛ أفضل وأعلى من جميع ذلك، هو من أهم أسباب العزّة والاستعلاء الإيمانيّ.

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠ / ٦٠٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧ / ٢١٥).

ولا يحيد المسلم عن هذا المسلك النجیح إلا إذا انهزم في نفسه، وتصوّر خطأ قصور مصدره الذي يتبعه ويتحاكم إليه، ودونيته عن تلك المصادر الوافدة، فيستبدل حينئذ الأذى بالذي هو خير، ويشتري الضلالة بالهدى، في تجارة خاسرة، موافقاً من ذمهم الله تعالى بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

الخاتمة

في ختام هذا البحث أُجِمل أهم نتائجه وتوصياته:

نتائج البحث:

- ١- الاستعلاء الإيماني مفهوم شرعيّ، مرتبطٌ بتحقيق الإيمان قوةً وضعفًا.
- ٢- التغريب ليس مجرد ظاهرة ثقافيةٍ محايدة، بل هو مشروعٌ استعماري ناعم، غايتهُ سلخُ المسلمين عن هويتهم وإذابة الشخصية الإسلامية في منظومة الغرب الفكرية والحضارية.
- ٣- العامل النفسي هو أخطر مداخل التغريب، إذ يعتمد على إصابة المسلم بالانبهار بالنموذج الغربي، واليأس من الواقع، وفقدان الثقة بالذات، مما يجعله قابلاً للانقياد والتقليد.
- ٤- أهميةُ الاستعلاء الإيماني من جهة كونه صخرةً صامدةً في وجه الهزيمة النفسية، وركيزةً أساسيةً في مواجهة الفكر التغريبي، وضالّةً هذا الفكر أمام الأسس العقائدية الراسخة للإسلام.
- ٥- وسائل تحقيق الاستعلاء الإيماني متعددة، أهمها: تعزيز الإيمان بالله، والتأسيس البرهاني لصحة الإسلام وبطلان الكفر، والوضوح في الخطاب والمواقف الشرعية، وتصغيرُ شأن الدنيا، والافتداء بنماذج العزة الإيمانية.
- ٦- الواجب في زمن الفتنة والتغريب هو بعث روح الاستعلاء الإيماني والاعتزاز بالهوية الإسلامية في الأفراد والمجتمعات، ومواجهة التيارات الفكرية الوافدة بثقة وعلم وثبات.

التوصيات:

- ١- دعوة وزارات التربية والتعليم العربية والإسلامية إلى مراجعة وتطوير المناهج الدراسية لتعزيز قيم الانتماء للهوية الإسلامية والعربية، من خلال التركيز على التاريخ الحضاري

للأمة، والرموز العلمية والأخلاقية فيها، وتضمين القيم القرآنية واللغوية بأساليب تربوية حديثة.

٢- تشجيع الهيئات الإعلامية على إنتاج وترويج محتوى إعلامي يبعث روح الاستعلاء الإيماني ويرفع مستوى الاعتزاز والانتماء للأمة الإسلامية.

٣- إنشاء مراكز بحثية أو وحدات دراسات في الجامعات والمراكز الفكرية لرصد مؤشرات التغريب وتحليلها واقتراح السياسات الوقائية والعلاجية المناسبة، مع إصدار تقارير دورية في هذا الشأن.

٤- دعوة وزارات الأوقاف والشؤون الاجتماعية إلى إطلاق برامج توعوية للأسر والمربين، تركز على دورهم في غرس الهوية والقيم، مع تأهيل الدعاة والمصلحين لمخاطبة تحديات التغريب بلغة معاصرة.

٥- التأكيد على أهمية ضبط الانفتاح الثقافي، من خلال وضع أطر تنظيمية للفعاليات الثقافية والبرامج الأجنبية، بما يضمن عدم تعارضها مع الثوابت الدينية والثقافية، دون انفتاح غير منضبط، أو انغلاق تام.

- ٩١١هـ)، القاهرة، دار هجر، ١٤٢٤هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- الزهد، هناد بن السري (ت ٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- الزهد، وكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، د. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٥-٢٠٠٢م.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، بيروت، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
- سنن الترمذي = الجامع الكبير
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- شرح التسهيل، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي الأندلسي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، القاهرة، دار هجر، الطبعة

- والحكم، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م - ٢٠٠٩م.
- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، (المتوفى سنة ٥١٦هـ)، تحقيق وتخريج: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٧هـ، الطبعة الثانية.
- موسوعة التفسير المأثور، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، إشراف: مساعد بن سليمان الطيار، نوح بن يحيى الشهري، بيروت، مركز الدراسات ودار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: مانع بن حماد الجهني، الرياض، دار الندوة العالمية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
- الهزيمة النفسية عند المسلمين، د. عبد الله خاطر، الرياض، مجلة البيان، د.ت.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، أحمد صيرة، أحمد الجمل، عبد الرحمن عويس، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

فهرس المحتويات

٢٣٠٩.....	الملخص
٢٣١٢.....	المقدمة
٢٣١٣.....	أهمية البحث
٢٣١٤.....	أهداف البحث
٢٣١٤.....	منهجية البحث
٢٣١٥.....	المبحث الأول معنى الاستعلاء الإيماني وأهميته في مواجهة التغريب
٢٣١٥.....	المطلب الأول: الاستعلاء الإيماني في اللغة والشرع
٢٣٢١.....	المطلب الثاني: أهمية الاستعلاء الإيماني في مواجهة التغريب
٢٣٢٦.....	المبحث الثاني وسائل تحقيق الاستعلاء الإيماني
٢٣٢٦.....	الوسيلة الأولى: تعزيز الإيمان بالله
٢٣٣٠.....	الوسيلة الثانية: الاعتصام بالله والتوكل عليه
٢٣٣٣.....	الوسيلة الثالثة: التأصيل البرهاني للإيمان ومحاسن الإسلام
٢٣٣٥.....	الوسيلة الرابعة: النقض البرهاني للأفكار الكفرية
٢٣٣٧.....	الوسيلة الخامسة: الوضوح في توصيف الكفر والباطل
٢٣٣٩.....	الوسيلة السادسة: تصغير شأن الدنيا في ميزان الآخرة
٢٣٤١.....	الوسيلة السابعة: إدراك محاسن الإسلام
٢٣٤٢.....	الوسيلة الثامنة: الاقتداء بنماذج الاستعلاء الإيماني
٢٣٤٥.....	الوسيلة التاسعة: الحفاظ على تميز الهوية الإسلامية
٢٣٤٩.....	الوسيلة العاشرة: الاهتداء بالوحي والاستغناء به

٢٣٥٣الخاتمة
٢٣٥٣نتائج البحث
٢٣٥٣التوصيات
٢٣٥٥فهرس المصادر والمراجع
٢٣٦١فهرس المحتويات